

العلم موهبة إلهية

المكان: مدينة كرمانشاه

الزمان: 1390/7/26 ش. 1432/11/20 هـ. 2011/10/18 م.

المناسبة: زيارة الإمام الخامنئي لمحافظة كرمانشاه

الحضور: جمع من النخبة والمتفوقين من محافظة كرمانشاه

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت هذه الجلسة جلسة جد طيبة ومحبة ولا تُنسى، وتضمنت أفكاراً متنوعة وعميقة. لقد استفدت حقاً من الكلمات التي ألقيت. كما تسببت هذه الجلسة في أن تزداد معرفتي ومعرفة أمثالي بكرمانشاه والمتفوقين من هذه المحافظة والمواهب والنخب فيها. قال أحد السادة إن هذه المحافظة هي الصدر القوي لإيران - وكم هو تعبير جميل وعميق - وأريد أن أقول إنه بالإضافة إلى هذا فهي الوجه الجميل لإيران، فالعلم والفن والأدب والجهود الثورية والرياضة وروح البطولة وكل شيء مجتمع والحمد لله في هذه المحافظة.

طبعاً كنت على معرفة ببعض الشخصيات النخبة والبارزة في المحافظة من قبل الثورة، ومنهم المرحوم يد الله بهزاد الذي كان من أصدقائنا القدامى. كان يكثر المجيء إلى مدينة مشهد. المرحوم بهزاد كانت لديه موهبة شعرية جيدة جداً - خصوصاً في قوالب القصيدة والقطعة، وكان للحق من المميزين في بلادنا - مضافاً إلى تحليه بروح البطولة وأخلاقها الشائعة في كرمانشاه. كان ذات مرة في زيارة إلى مشهد، وكنت حينها مطلوباً للسلطات، فخرجت من مدينة مشهد وذهبت إلى مكان بعيد. وفجأة رأيت السيد بهزاد وعدداً من أصدقائنا الآخرين في الجمعية الأدبية بمشهد قد جاءوا لزيارتي هناك، وكان هذا العمل خطيراً جداً. لم يكن هذا الرجل من أهل الكفاح والنضال بالشكل المألوف آنذاك، لكن الصداقة والصحبة والصميمية جاءت به إلى هناك. وهذه أحوال مشيرة للاستحسان.

وكنت أيضاً على معرفة بالمرحوم كيوان سميعي الذي كان للحق والإنصاف عالماً محققاً نادر النظر. فضلاً عن الكتاب الذي وضعه في سيرة المرحوم سردار كابلبي - ومع أنه كتاب سيرة لكنه مليء بالأفكار والبحوث والمضامين - فإن له كتاباً آخر حاولت كثيراً أن أتذكر اسمه فلم أتذكره... (1) نعم.. صحيح «بحوث أدبية». يشعر المرء حقاً أن هذا الرجل في مصاف محمد قزويني وشخصيات من هذا الطراز. كان شخصية ممتازة للإنصاف من حيث البحوث والمعلومات الواسعة في المجالات الأدبية والتاريخ وكل شيء.

والمرحوم السيد نجومي (رضوان الله عليه) الذي اتصلنا به وتعرفنا عليه منذ بداية الثورة كان للحق رجلاً جامعاً فقيهاً وأديباً وفناناً وشخصية نادرة النظر بين علماء الدين.

طبعاً كنا على معرفة بالنخبة من علماء الدين من هذه المحافظة منذ أيام الدراسة في قم، كالمرحوم الحاج آقا مجتبي حاج آخوند (رحمة الله عليه)، والمرحوم الشهيد الحاج آقا بهاء محمدي عراقي وغيرهما من الأصدقاء. ومع ذلك يجب القول إن الوجه العلمي والفني والأدبي الحقيقي لكرمانشاه لم يعرف بعد كما ينبغي، وهذا موطن أسف وحسرة. الحق أن يعمل المسؤولون الإعلاميون في البلاد والإذاعة والتلفزيون بمساعدة النخبة والموهوبين من هذه المنطقة أنفسهم على تعريف كرمانشاه. جانب من القضية يتعلق بماضي كرمانشاه وجانب منها يتعلق بحاضر كرمانشاه. المواهب اليوم عالية جداً لحسن الحظ، وفي الكلمات التي ألقاها الأعمام الآن هنا تلاحظ نماذج من المواهب الرفيعة في هذه المحافظة. شخص مثل البروفيسور شمسي پور من المفاخر حقاً. هؤلاء ليسوا مفاخر للمحافظة فقط بل هم للحق والإنصاف من مفاخر البلاد. معرفة هؤلاء تبعث الأمل في النفوس. كل واحد من هؤلاء الشباب الأعمام الذين تحدثوا هو بشارة خير، بشارة خير بمستقبل أفضل لكل البلاد.

وقبل يومين عندما كنا في الجامعة ذكر بعض الشباب هناك أفكاراً وقدموا اقتراحات طابت لي كثيراً. قد لا يتطابق بعض ما يوجد في أذهان هؤلاء الشباب وآمالهم مع الواقع، أي قد يعد أحلاماً وردية مجتحة، لكن هذا بحد ذاته حسن ومحبّد أن تكون لشبابنا أحلام وردية وآفاق واسعة بعيدة يسرون نحوها.

لحسن الحظ توجد في بلادنا حالياً مثل هذه الهمم والخفزمات والأرضيات، لكنها لم تكن متوفرة ذات يوم. في فترة النظام الطاغوتي لم تكن الأرضية متوفرة لنمو المواهب المتنوعة. الذين كانت لهم محفزاتهم بشكل شخصي ساروا وراء محفزاتهم الشخصية.. هكذا كان الأمر دائماً. أحياناً تسير قافلة وطنية كاملة.. وهذا بحاجة إلى أرضية وأجواء مساعدة. وفي الوقت الراهن تتوفر هذه الأرضية والأجواء، لكنها لم تكن موجودة بالأمس. لذلك ما لدينا من المفاخر العلمية والأدبية والفنية والدينية وغيرها في الماضي يجعلنا متفائلين بأنهما ستتضاعف أضعافاً مضاعفة في المستقبل بتوفيق من الله وبهمم وقدرات ومساعي وجهود شبابنا ورجالنا ونسائنا المؤمنين.

اللقاء بالنخبة والمتفوقين - وأنا أبرمج عادة لمثل هذا اللقاء في مختلف المحافظات، وهي لقاءات مفيدة جداً لي - هي بالدرجة الأولى من أجل تكريم النخبة وتممين الإبداع. نروم أن نشهد هذه الحالة كسنة في المجتمع حيث يحترم أصحاب العلم والإبداع والجهود المتميزة، أو الذين بوسعهم بذل مثل هذه الجهود. الكثير من الذين يتقدمون بالبلدان إلى الأمام بفضل جهودهم العلمية وأفكارهم لا يتوقعون أجوراً مادية لكنهم يتوقعون تقديراً وتكريماً. ونريد أن يتحقق هذا التكريم. لا أن أقوم أنا فقط بهذا التكريم - وهذا بالتالي ليس بالشيء المهم - بل نرنو إلى شياع هذا الأمر في بلادنا ومجتمعنا وشعبنا كسنة، حيث تحترم المواطن المشرقة في ميادين الفكر والجدّ والجهد إذا تمّ تشخيصها ومشاهدتها. هذا هو هدفنا ودافعنا الأول.

ولحسن الحظ فإن مثل هذه المواطن المشرقة موجودة في كل أنحاء البلاد. شاهدت في بعض المحافظات أن عالماً وضع كتاباً في حقل هو من ما أرغب فيه وأهتم به، ومع أي من قرّاء الكتب وغالباً ما أطلع على ما ينشر من كتب، لكنني لم أسمع حتى باسم ذلك الكتاب ولم أسمع حتى باسم ذلك المؤلف، فاستغربت. وهذا دليل على أن لدينا كنوزاً كثيرة لا تزال خافية، ويجب الإعلان عنها. لا بد أن نعرف شخصياتنا الممتازة.. لا بد أن يعرفهم الناس. هذا الإطلاع والمعرفة بحد ذاتها هي المرتبة الأولى للتكريم والتقدير. أضف إلى ذلك أنه سوف تتحقق النقطة الثانية التي نرمي إليها والتي تشكل دافعنا الثاني من إقامة هذه الاجتماعات، ألا وهي صناعة النموذج والقُدوة.

جرت اليوم محاولات لنحت نماذج لمختلف المجتمعات في مجالات عديدة. والواقع أن ثمة سياسات وراء هذه المحاولات. حينما تلاحظون مثلاً أن شخصاً منحرفاً مزدوج الجنس، ومن دون أن تكون له ميزة أو موهبة خارقة للعادة، يتحول فجأة إلى الشخص الأول في كل وسائل الإعلام

الأمريكية ومن ثم الغربية، ويذيع صيته وصورته، وتنشر المجلات الغربية المعتمدة والواسعة الانتشار صورته وحياته وعاداته المختلفة بشتى أشكاله النسوية والرجولية، فلا يمكن حمل هذا على الصدفة، إنما هناك أفكار ومقاصد وراء هذه الممارسات. هذه صناعة نماذج لتحريف الأجيال الإنسانية. والمستهدف بهذه الهجمات ليست إيران وحسب. بمشاهدة هذه الأمور، يتأكد في ذهن الإنسان ما نشر في العالم قبل سنين تحت عنوان بروتوكولات حكماء صهيون وترجم للغات مختلفة. وكان أحد هذه البروتوكولات هو أنه يجب إبعاد الأجيال الإنسانية عن السياقات والأساليب الإنسانية المألوفة وجرحهم إلى الانحرافات الأخلاقية. أما الهدف من ذلك فهو مجال واسع للبحث والنقاش. هذا أحد أصول الأعمال التي يقوم بها منتجو هذه الأفكار الصهيونية المنحرفة والخطيرة. قد لا يصدق المرء في الأيام الأولى لكنه يصدق الأمر بالتدريج. يريدون صناعة نماذج، وهذا هو النوع الأسوأ، وهناك أنواع أخرى متنوعة.

والنقطة المهمة الأخرى هي تسليط الأضواء على المواهب الذاتية لبلدنا وشعبنا، ليس للأجانب، بل لأنفسنا. من الأمور التي يجب أن تجعلنا يقظين جداً إزاء وضعنا هو أن الإعلام والدعاية جرت طوال عشرات الأعوام على أن الإيراني غير كفوء، وعليه التعلم من الآخرين، ويجب عليه تقليد الآخرين، والتوسل والتشبث بالآخرين. كانت هذه الأقاويل من الأمور الشائعة في فترة حداثنا وشبابنا. ما إن يجري الكلام عن شيء معين حتى يقولوا إن مثل هذه الأشياء لا يمكن صناعتها هنا. يريدون إقامة جسر على شارع في مدينة معينة، وإذا بهم يأتوا بمهندس أجنبي. وإذا أرادوا بناء سدّ يجب أن تأتي عدة شركات أجنبية ومهندسين ومتخصصين أجانب. أحدهم يبني جدار السد، والآخر يصنع التوربينات، والآخر يصنع باقي الأجهزة. لم يكن هناك إطلاقاً تصوّر حول الصناعة والقدرات الداخلية. وقد كانت هذه الأفكار سائدة حتى في بداية الثورة. لا أنسى أنه كان المقرر بناء محطة طاقة غازية في مكان ما - وكان العمل غير مكتمل فيها منذ ما قبل الثورة - وكنا نقول للمسؤولين عنها أنجزوا هذه الخطة، فجاءوا عندي - وكنت عندها رئيساً للجمهورية - وقالوا إن هذا الشيء غير ممكن بالمرة. لم يكونوا يصدقون. واليوم يبني مهندسو بلادنا وشبابنا أحدث محطات الطاقة بأشكالها المختلفة وبشتى أنواعها. بوسعنا اليوم بناء محطة طاقة نووية. هذه المواهب لم تكن معروفة.

لقد جرى العمل على هذه القضية منذ سنين طويلة. منذ نحو مائة وخمسين سنة حينما بدأت الثقافة الغربية والمناهج الغربية ومؤشرات الحضارة الغربية والتقدم الغربي تدخل إلى البلاد تدريجياً، تكرست هذه القضية رويداً رويداً. قيلت وجرى التأكيد عليها، وتبين على المستوى العملي أن الإيراني لا يستطيع فعل شيء. نسوا أن تاريخنا وتراثنا زاخر بالمفاخر العلمية. حينما لم يكن هناك شيء في العالم الغربي. يوم كانوا إذا حصل تقدم علمي أو اكتشاف علمي يقرقون المكتشف بتهمة السحر، ويوم كان الظلام العلمي المطلق يسود أوروبا - وثمة الكثير من الكلام في هذا الصدد - كانت بلادنا رائدة البلدان الإسلامية. حالات التقدم هذه هي للعالم الإسلامي، لكن إيران كانت رائدة البلدان الإسلامية في مختلف أنواع التطور العلمي وفي الفلسفة وفي العلوم النقلية وحتى في العلوم الشرعية والفقه والحديث. أكثر كتب الحديث في تلك العصور - سواء أحاديث أهل السنة أو أحاديث الشيعة - هي للإيرانيين وللكتاب الإيرانيين وللمحدثين الإيرانيين وللفقهاء الإيرانيين، إلى أن يأتي الدور للعلوم الطبيعية والطب والصيدلة والهندسة والفلك والنجوم وسائر العلوم. هذا هو ماضينا، وهو دليل على وجود موهبة أعلى وخزين عظيم في هذه المنطقة من جغرافيا العالم.

طيب، لقد قلت وكررت كثيراً باللسان، وربما كانت القضية تبدو في بداياتها مجرد شعارات، قلنا إن مواهب الإيرانيين أعلى من متوسط المواهب البشرية عالمياً. كنا على اطلاع بهذا. وتصوّر البعض أن هذه شعارات، ولكن الأمر يسير نحو الإثبات شيئاً فشيئاً والله الحمد.

نحو التقدم العلمي الذي أشاروا له - وهو ما ذكرته مراراً وتكراراً - هو حقيقة واقعة. هذا ما نقوله الإحصائيات الدولية. صحيح أن ما وصلنا إليه من الناحية العلمية لا يزال وراء ما وصله العالم بمراتب ومراحل، لكن هذا بسبب تأخرنا القديم. مسيرتنا نحو الأمام كانت ذات سرعة كبيرة جداً. وهي أضعاف متوسط السرعة العالمية. إذا حافظنا على هذه السرعة بل زدناها فسنصل إلى خطوط العلم الأمامية وحدوده وسوف نحطم هذه الحدود ونتقدم إلى الأمام. هذا شيء سوف يحدث. شباب بلادنا يجب أن يصدقوا هذا ويؤمنوا به، وهذا أحد سبل الإيمان به. يأتي الشباب اليوم هنا ويتحدث بكلام جديد ونقاط جديدة واقتراحات جديدة يقدمها بمعنويات عالية. ويحضر الأساتذة البارزين والكبار في العلوم والفنون والخط وسائر الفروع ويتحدثوا بأفكار ونقاط جديدة. يجب أن تسلط الأضواء على هذا كي يؤمن به الشباب في البلد.

النقطة الأخرى التي يجب أن أذكرها هي أن مواهب المجتمع في المجالات الذهنية والفكرية والعلمية يجب أن تصبّ في خدمة رفعة الإنسان وتعالیه. والوضع في العالم اليوم ليس على هذا النحو. لا العلم في العالم اليوم في خدمة رفعة الإنسان، ولا الفن، ولا باقي الأشياء. ومن الأمثلة على الفن هو فن السينما. وقمة السينما في العالم هي هوليوود. كم تساعد هذه الأجهزة الفنية في العالم على سمو أخلاق البشر ومعنوية الإنسان وبث الأمل في نفس الإنسان؟ الحال على العكس من ذلك. لا يمكن القول إن هذه الأشياء هناك بدرجة الصفر، بل هي أحياناً تحت الصفر! أي إنها تخربّ الأسس الأخلاقية والأركان الفكرية وسمو البشر. ليس الفن في العالم اليوم لخدمة رفعة الإنسان، وكذا الحال بالنسبة للعلم. العلم في خدمة الرأسمالية وأصحاب الثروات. العلم البشري في الوقت الحاضر في خدمة أصحاب الشركات الاقتصادية الكبرى. هؤلاء هم الذين يشعلون الحروب ويقتلون البشر ويرتكبون المذابح الجماعية. العلم في خدمة هؤلاء. ليس العلم لخدمة الشعب الأفغاني المحروم. العلم الذي سافر إلى أفغانستان هو الطائرات التي تحلق فوق رؤوسهم وتقصفهم. والعلم الذي سافر إلى العراق يومذاك هو الأدوات الكيميائية التي فعلت ما فعلت في حلبجة. هكذا هو العلم في تلك المناطق. وكذلك هو العلم في البلدان الغربية نفسها. نعم، زاد هذا العلم من ثروات البعض وهم أقلية، وتلك الثروات نفسها أدت إلى تطور العلم، لكن العلم أصبح وسيلة للتمييز وعدم التعادل بين المجتمعات وتخلف المجتمعات. يجب أن نغير هذه الحالة.

ذات العلم ليست هكذا. العلم ذاتياً وطبيعياً ظاهرة إلهية ونعمة وموهبة إلهية. وكذا الحال بالنسبة للفن والقرائح الفنية. هذه كلها مواهب الله. إنما اختيار الإنسان وانتخابه هو الذي يجعل هذه المواهب في الطريق الصحيح أو الطريق الخطأ. الإنسان المادي غير المؤمن بالله في الحضارة الصناعية جعلها في غير خدمة الله. والإنسان الإلهي المعنوي في الجمهورية الإسلامية والعالم الإسلامي يمكنه أن يجعلها كلها في خدمة الإنسان. ينبغي أن يكون هذا هو الهدف ويجب الاهتمام بهذا الأمر. يتوجب أن نجعل امتيازات المجتمع في خدمة معنوية الإنسان.

ما أقوله في نهاية كلمتي - لأن الأذان على وشك أن يرفع - هو أننا لحسن الحظ نشهد في كل أنحاء البلاد مؤشرات وجود حالات النبوغ والتميز والتفوق في المواهب، ويجب علينا معرفة قدر ذلك. وهذا من أوجب مهام المسؤولين في البلاد. من بين الاقتراحات التي قدمت اليوم هو أن

يجري تمرکز الأساتذة في مكان معين ويصار إلى الاهتمام بهم والاستفادة منهم. هذا شيء صحيح تماماً. وكذلك الحال بالنسبة للشباب المتميزين. مؤسسة النخبة - ولها والحمد لله مساع جيدة - يجب أن تواصل متابعة هذه المسألة. علينا تعزيز هذا التيار التجديدي في المجتمع الذي يعمل بالمعنى الحقيقي للكلمة في مجال الإبداع. وسيفضي هذا إن شاء الله إلى مستقبل جيد للبلاد.

إنني مسرور جداً للقاء اليوم. أستودعكم الله جميعاً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء. وأتقدم بالشكر لهذه الكتب والكتابات والميدالية (2) التي تفضلتم بها أيها الأعزاء علينا هنا. أتمنى إن شاء الله أن تشملكم جميعاً ألطاف الله وفضله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

1 - قول أحد الحاضرين: «بحوث أدبية».

2 - السيدة مريم هاشمي فرود لاعبة الووشو من محافظة كرمانشاه والتي فازت بالميدالية الذهبية في مسابقات الووشو العالمية، أهدت ميداليتها الذهبية لسماحة قائد الثورة الإسلامية.